يوميات سائق تاكسي

-1-

امتصت شبابي العسكرية، تجاوزت العقد السادس من عمري، أشتغل سائق تاكسي، بسيارتي الصغيرة الهونداي، في ظل أزمة السيولة وصعوبة الحياة، بالأمس لم أتحصل إلا على أربعة دنانير، اشتريت بها أرغفة الخبز لأبنائي الذي لا يدخلون علي درهما واحدا.

واليوم خميس أنا على الطريق الرئيسي، الوقت قبل المغيب بقليل، توقف على يمين الطريق، شاب يلوح لي هدأت من سرعة التاكسي، فتح الباب قفز الي جواري شاب عشريني، شعره منكوش عيناه متورمتان، هتف بي :- ارجع الي حي...

عدت به الي ذلك الحي، وقطعنا مسافة على الشارع الذي ينصفه، طلب مني الوقوف أمام محل كبير، عليه ازدحام وسيارات

عديدة، دخله وبقي فيه لدقائق، ثم خرج وبيده اكياس بها مشتريات وبادرني:- إلي فندق م.....

وصلنا الفندق الذي يحتضنه البحر، ترجل بأكياسه ومضى للداخل، ابتعدت بسيارتي قليلا عن الباب، وظللت أنتظره، وبعد برهة خرج وركب قائلا لي :- عد بي الي ذلك المحل السابق في الحي...

لم تمض دقائق حتى كنت أتوقف مرة ثانية أمام المحل المزدحم، ترجل وعاد إلي بمجموعة أكياس أخرى بين يديه:

- هذه المرة إلي فندق س....وسط المدينة.

ظللت انتظره هناك لأكثر من عشرة دقائق، أطل علي وقد نقصت الأكياس التي كانت معه..

ثم قال لي :

- فيه عمارة في وسط المدينة شارع فلسطين، أريدك أن تتوقف عندها.

توقفت أمامها وظللت أنتظره، والمؤذن يؤذن لصلاة العشاء، بعد دقائق أطل وقد خلت يديه من الأكياس، بادرني قائلا:- عد بي إلي الحي الذي أخذتني منه، فعملي اليوم قد انتهى..

تساءلت مأخوذا :

- ماذا تشتغل يا بني؟

أجابني:

ـ كما ترى يا حاج في النهار نوم، وبعد العصر أصحو، عندي زبائن في هذه المدينة، ممن يحتاجون للترفيه عن أنفسهم، اشتري لهم زجاجات الخمر والحشيش من محلات التبغ، وأبيعها لهم بمكسب، وهكذا وكل ليلة أعود إلي المنزل وفي جيبي ما لا يقل عن ثلاثمائة دينار.. طلب مني التوقف قائلا :-هنا قد وصلت..

أخرج من جيبه ورقة بخمسين دينار، ومدها لي رفضت أخذها في البداية، غير إنه رماها على كرسي السيارة، وترجل مسرعا بعد أن أوصد الباب خلفه ومضى..

-2-

بالأمس بعت بطاقة الفيزا المصرفية، وسيارتي الهونداي البيضاء، واشتريت سيارة انترا جديدة.. وضعت في أعلاها قطعة خرطوم أصفر، علامة التاكسي عندنا في هذه المدينة انتظرت دوري في مطار طبرق المدني، حتى تهبط الطائرة لأتحصل على زبون، وبعد قليل هبطت الطائرة، وترجل منها الركاب.. بعد دقائق أقبلت نحوي فتاة جميلة، تتهادى في مشيتها، على عينيها نظارة سوداء وبيدها حقيبة صغيرة.، وتجرجر بيدها الأخرى حقيبة كبيرة سوداء، أسرعت نحوها استلمت منها الحقيبة الثقيلة، ووضعتها في مؤخرة السيارة، فتحت لها الباب، ارتمت على الكرسي الخلفي، وقد غمر عطرها الفواح التاكسي، ووصل إلي أنفي، التفت إليها متسائلا قبل أن أنطلق بها :- الي أين ؟

بادرتني :

- مزرعة فلان الفلاني.....

قلت لها :أجل..

أطفأت شريط التسجيل، ودست على بنزين التاكسي، وخرجت من باب المطار في اتجاه المدينة، بعد أن قطعت مسافة دفعني الفضول التفت اليها سألتها :

- هل أنت زوجته؟
- لا عشيقته.. من طرابلس..
- أول مرة تزورين طبرق ؟
- لا زرتها عدة مرات، عندما يطلبني عشيقي أحضر اليه، وأبقى في ضيافته لمدة يوم أو يومين، وأستلم منه أجري ألف أو ألفين دينار، ثم أعود إلي مدينتي طرابلس..

كانت الفتاة صريحة معي في حديثها للغاية، أوصلتها للمزرعة التي تريدها ونقدتني أجري..

-3-

من الصباح الباكر أتوقف بالتاكسي، أمام فندق المسيرة الفخم، نحن في بداية عام 2011م، مرتبي له أكثر من شهر لم يصل للمصرف، وأخيرا لاح الفرج، فقد أطل علي ثلاثة زبائن من باب

الفندق، يرتدون البذل، تبدو الأناقة والوجاهة عليهم، اقتربوا مني قالوا لي :

- نريد المطار.

سرعان ما استلمت حقائبهم، أودعتها شنطة السيارة، دلف أحدهم الي جانبي، والآخران في الخلف، أخذوا يتحدثون، يبدو من لهجتهم أنهم من غرب البلاد، أقلعت بهم من أمام فندق المسيرة، في اتجاه الشرق حتى المثلث عند المقبرة الفرنسية، انعطفت نحو الجنوب الشرقي، كانوا يتحدثون عن رحلة القذافي إلي ايطاليا الأخيرة، وأردت أن أدخل معهم في الحديث، حتى قلت للذي بجواري في سذاجة :

- وأيش اخبار أعميرين؟

ولم أصحو الا وصفعة قوية على وجهي، بيد الذي يجلس إلي جواري، ولكزني الذي خلفي وبادرني الثالث :

- واكل من عصيدته يا حيوان؟

والثاني تساءل قائلا :

- قمت معاه بالتورة يادبسيس.

وردد الثالث :

- قول القائد يا حيوان يا أثول يا خرقة.

بادرني الذي في الخلف :

- لولا أنك فقير وراقد ريح، لأودعناك في السجن الآن حتى تتأدب مرة أخرى .

توقفت أمام باب المطار، وفرائصي ترتعد، وجبيني يتفصد عرقا، خيم علي الصمت، مد لي أحدهم بورقة من فئة العشرة دنانير :

- خسارة فيك هدي.

فتحت لهم الشنطة الخلفية للتاكسي، وما أن استلموا حقائبهم ودخلوا صالة الركاب، حتى تنفست الصعداء

-4-

أدرت مفتح التاكسي الهونداي، وانتظرت برهة حتى يرتفع مؤشر الحرارة قليلا، من أمام كوخي في الحطية، ثم دست على البنزين مرددا:- توكلت على الله.

آخر شهر مارس كان الجو عجاج والريح مرتفعة، محملة بالغبار، والرؤية ضعيفة علي الطريق الساحلي، استوقفتني امرأة كانت بضعة خطوات من الرصيف، في منتصف عمرها، فتحت هي الباب، دفنت نفسها في الكرسي الخلفي، وقد غمرني عطرها الأخاذ، نظرت اليها في المرآة، كانت تغطي وجهها المساحيق متسائلا :

- أين تريدين ؟

أجابت :

- سوق المدينة.

وسط المدينة توقفت بها.. قلت لها :

- اثنين دينار.

أخرجت ورقة حمراء من فئة العشرين دينارا من صدرها البض قائلة:

- ما عندي غير هذي غداء العويله.

في غضب قلت لها :

- تربحي.

-5-

بينما كنت عائدا بالتاكسي إلي البيت، اعترضني رجل في متوسط عمره، كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة ليلا، قلت له متسائلا:

- إلي أين؟

التفت إلي قائلا :

- أقرب محل مستلزمات للأمومة والطفولة..

قلت ربما لديه طفل يحتاج الي حليب، في هذه الساعة المتأخرة من الليل، أخذت ألوذ به شوارع المدينة، كانت المحلات جميعها مقفلة.

في ضيق وقلق بادرني :

- عد بي إلي البيت في حي....

من شارع لآخر حتى وصلنا منزله، ترجل الرجل مسرعا ودخل منزله، وقال لي :

- دقيقة سوف أحضر لك أجرك.

أخذت أنتظر، تناهى إلي مسامعي أصوات مرتفعة، خرج إلي ومعه امرأته، ترتدي توته بيضاء، تمسك بتلابيبه، وهو يبادرها :

- واللّه المحلات كلها مغلقة حتى هذا السائق كان معي .

قلت لها بالفعل :

- المحلات كانت مقفلة كلها.. لكن ماذا كنتِ تريدين؟.

ببساطة :

- أريد مكياج فقط.

طلبت منه أجرتي، وابتسمت ودست على البنزين، وعدت الي منزلي.

-6-

الليلة بعد العشاء قالت لي الزوجة:

- العيال بكرة لا يوجد لدينا حليب لهم ..

دست على بنزين التاكسي، دخلت شوارع المدينة، كانت يأكلك فيها الذئب، الساعة الثانية عشرة ليلا، عند مفترق جزيرة مساعد،

ثمة رجل يعترضني، ومعه شخص آخر، توقفت بالقرب منهما، أدخله في الكرسي الخلفي، كانت رائحة الخمر قد وصلت أنفي، وبيده زجاجة خمر، ثم ركب الآخر بجانبي وقال:

- الصناعية من فضلك..

زميله السكران أخذ يدعوني للشرب :

- تشرب.. تشرب.

دفعه هو طالبا منه الصمت، اقتربنا من الصناعية كانت مظلمة وموحشة، عند إحدى الورش طلب مني التوقف، ومد لي السكران بعشرة جنيهات بادرته :

- ليس لدي صرف..

دفعني زميله أن آخذها كاملة :

- خذها كلها..

وترجلا، ومن يومها لم أعد أخرج للعمل بالتاكسي ليلا.

-7-

في هذا الصباح دخلت المدينة والزحام على أشده، توقفت عند الجوازات أشار لي مواطن بادرته :

- أين تريد؟

أجاب:- باب الزيتون.

قلت له :

- خمسة دنانير الأجرة..

وافق الرجل واندلف الي جواري.

عند محطة وقود بو حبله، اعترضنا شاب يشير بيده، التفتُّ إلى الزبون الذي بجواري :

- ما رأيك أن نحمله معنا؟.

هز رأسه بالموافقة، توقفت بالقرب منه، فتح الباب الخلفي وركب، دست على بنزين التاكسي، تحرك بنا قال الراكب الذي الي جواري :

- في رأي اللي يقدر يسير أمور البلاد في هذه الفترة هو المشير حفتر...

عارضه الذي خلفي قائلا :

- أخطأت يا أخي أن من يستطيع أن يكون رئيساً للبلاد، هو سيف الاسلام معمر القذافي، صاحب مشروع ليبيا الغد.

قال الأول :- لا حفتر أفضل ورجل عسكري..

رد الثاني :- لا سيف الاسلام أفضل..

اشتد بينهما الحوار، في عناد واصرار، وعلا الصوت بينهما، وقد أصبح أشبه بعراك كل واحد منهما، أراد أن يمد يده للآخر، أوقفت التاكسي على يمين الطريق أمام مسجد علي بو العور، مخاطبا كل واحد منهما:- ترجلا من التاكسي هنا وتشاجرا هنا.. أو دعونا من السياسة..

بادرني الذي الي جواري وهو يتحرك

:- لا أنزلني هنا أنا وصلت.

ثم مد لي خمسة دنانير وهو يترجل..

ثم اوصلت السير بالزبون الاخر حتى معسكر 28 مارس، وقد أوقفت النقاش معه..